(٤٥)

مدرسة

أما ناظرها(١) فحضرة صاحب الدولة إسماعيل صدقى باشا ، وأما طلابها فينقسمون إلى ثلاثة أقسام : طلاب مرشحون وهم هؤلاء المستوزرون من أعضاء البرلمان ومن غير أعضاء البرلمان ، لا يشترط فيهم إلا شرط

---

(١) ١٤ — ١ — ١٩٣٣ عدد ٢٣٣٩

واحد نعرفه جميعاً ونقره جميعاً ، وهو ألا يكونوا من المعارضة ، أو من أنصار المعارضة ! وإنما يظهر فيهم ظهورا واضحا استعداد حسن لتأييد الوزارات مهما تكن ، وتأييد صاحب الدولة صدقى باشا بنوع خاص .

وطلاب عاملون وهم حضرات أصحاب المعالى والسعادة والعزة الذين يختارهم رئيس الوزراء بالفعل ، ويعهد إليهم بتدبير أمور الدولة تحت إشرافه البارع ، وفى ظل سياسته الحكيمة .

وطلاب مفصولون ، إما لأنهم أسرفوا فى النجاح ، أو لأنهم أسرفوا فى الإخفاق أثناء وقت الدراسة والتمرين ، وهم هؤلاء الوزراء الذين ينقلون أو يقالون أو يستقيلون . فمنهم من يعمل فى سفارات الدولة . ومنهم من يستريح فى بيته . وأولئك وهؤلاء ينتظرون أن يحتاج رئيس الوزراء إليهم ، فيردهم إلى المدرسة ليستفيدوا من كفايته ، أو ليدربهم ويمرنهم مرة أخرى .

وأما هيئة التعليم فى هذه المدرسة ففرد واحد ، جمع الله فيه أفرادا ، وشخص واحد ألفه الله من أشخاص ، وكفاية واحدة صاغها الله من كفايات . وهذا الفرد المتحد المجتمع ، وهذا الشخص المؤتلف المختلف ، ذو الكفاية المحصورة المنثورة هو حضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء ... وقد يعينه أساتذة مساعدون كما يقول الجامعيون ، وقد يعينه مدرسون أيضا . وهؤلاء الأعوان يختلفون ، فبعضهم من المصريين ، وبعضهم من الانجليز ، وبعضهم من الأوربيين بوجه عام .

وأما أمد الدراسة فى هذه المدرسة فيختلف طولا وقصرا ، ويختلف عرضا وضيقا باختلاف ما يستمتع به الطلاب من استعداد للنجاح والتفوق ، أو للإخفاق والعجز . فمنهم من يقضى فى المدرسة شهراً ثم ينقل ، ومنهم من يقضى فى المدرسة عاما ثم يوكل إليه عمل آخر . ومنهم من يقضى فى

المدرسة عامين ثم يخرج ، ومنهم من يقضى شهرين ثم يستقيل . وكذلك أراد الله لمصر المستقلة أن تنشأ فيها هذه المدرسة الغريبة التى لم تسبقنا إليها أمة من الأمم إلا الأمة الإيطالية الصديقة ، والتى لم يؤسسها قبل رئيس وزرائنا إلا زعيم إيطاليا العظيم السنيور موسولينى . فقد لاحظ الناس جميعاً ، وتحدثت الصحف الاوربية المختلفة أن الزعيم الإيطالى قد أنشأ مدرسة للحكم ، يهيء فيها الإيطاليين لفهم النظام الإيطالى الجديد ، فهو يجمع الوزراء ويفرقهم ، وهو يقرهم ويقلقهم ، وهو يريد أن يهيء للفاشسم أجيالا من الوزراء ، إذا خلا منهم جيل خلفه جيل آخر .

ولم يقلده فى هذا النحو من التعليم إلا رئيس وزرائنا العظيم !

أما هتلر فقد نهض بأعباء الحكم فى المانيا ، وأمامه مثلان ، يستطيع أن ينظر إلى إيطاليا فينتفع ، ويستطيع أن ينظر إلى مصر فيستفيد . وأكبر الظن أنه سينظر إلى البلدين جميعاً ، فكلاهما خليق أن يعلم فيحسن التعليم .

ليقل الساسة والصحفيون ما يشاءون فى تفسير هذا الترقيع الذى أحدث فى الوزارة صباح أمس . ليعلله بعضهم بنسيم يهب من اليمين ، أو ريح تعصف من الشمال . ليلتمس بعضهم تفسيره فى عناد حزب الاتحاد ، أو فى طمع حزب الشعب . أما أنا فلا أفسره إلا بشيء واحد : هو أن رئيس الوزراء قد أنشأ مدرسة للحكم ، فهو يحكم من ناحية ، ويعلم الحكام ويخرجهم من ناحية أخرى !

ورئيس الوزراء لم يذهب إلى روما فى الصيف عبثا ، ولم يلق زعيمها العظيم عبثا ، ولم يثن على أساليبه فى الحكم عبثا . ولم يعد بأنه سيستفيد من هذه الاساليب عبثا . فلم يكد يعود من أوربا ويستقر فى مصر أشهرا حتى أظهر أنه قد انتفع بلقاء الزعيم الإيطالى العظيم ، فأبعد عن الوزارة وضم إليها . ثم لم يكد يستقر بعد ذلك شهرين حتى أقصى عن الوزارة وأدنى منها رغم ما ألم به من مرض ، وما احتمل من ألم وسقم .

هى إذن خطة خطها رئيس الوزراء لنفسه فى تسيير سفينة الوزارة ، وهذه السفينة قد يواتيها النسيم فتعتدل وتستقيم ؛ وقد تعصف بها الريح فتترجح وتضطرب إلى أن يأذن الله لها فتستريح وتريح .

وقد تضيق بهذا النحو من التفسير والتأويل ، وتسألنى أن أذهب مذهب غيرى من الكتاب فأجد فى الفهم والتفسير ، ولكن ما رأيك فى أنى لا أحب هذا الجد ولا أميل إليه ، ولا أستطيع أن أكره نفسى عليه ، وكيف تريدنى على أن أكتب جادا فى السياسة المصرية إذا لم تكن هذه السياسة نفسها جادة ولا محبة للجد ؟ ومن ذا الذى يستطيع أن يزعم أن سياستنا جادة وهى تقوم على إهمال الشعب وإنكاره ، والإعراض عما يحب ، والإقبال على ما يكره ، والانصراف عما يريد ، والتهالك على ما يأبى ؟ وكيف تريد أن تكون سياستنا جادة ورئيس وزرائنا لا يتحرج من أن يقول فى كتابه الذى رفعه إلى حضرة صاحب الجلالة الملك إنه انتهى من إقرار النظام ، فهو يستطيع أن يدع وزارة الداخلية إلى وزير آخر ؟

أحق إنه يترك وزارة الداخلية لأنه قد أدى مهمته وأقر النظام ؟ أم الحق أنه يدع هذه الوزارة لأنه لا يستطيع منذ اليوم أن ينهض بأعبائها مع ما ينهض به من الأعباء الأخرى ؟ وأخيراً كيف تريد أن تكون سياستنا جادة ، وقد جمع رئيس الوزراء إليه الهيئة البرلمانية لحزبه فأبلغها أنه قرر وأنفذ تعديل الوزارة ، فسمعت الهيئة وتأثرت وهنأت ثم انصرفت لتجدد التأثر والتهنئة والشكر فى مجلس النواب !

لا ، إنما تجد سياستنا يوم تكون أمور الشعب إلى الشعب ، ويوم يقضى فى أمور الشعب جهرة ، ويوم تستشار الهيئات البرلمانية ، ولا يقتصر على تبليغها والاستماع لما تقدم من تحية وتهنئة وشكر وثناء .

فالى أن يأتى هذا اليوم الذى تجد فيه السياسة المصرية فتضطرنا إلى أن نجد فى فهمها وتفسيرها ، بل فى بذل ما نملك من جهد لتقويمها إن

اعوجت ، وتوجيهها إن انحرفت . إلى أن يأتى هذا اليوم يحسن أن نعبث مع سياستنا العابثة .

ستسألنى : ومتى يأتى هذا اليوم ؟ فمن يدرى ؟ لعله يكون أقرب مما تظن وأظن . فلننتظر باسمين .